مجلة علوم التربية

دورية مغربية متخصصة

ملف خاص

التعليم وإشكالياته

العدد الثامن والثلاثون- سبتمبر 2008

الزمن البيداغوجي المغربي..
ملاحظات وتساؤلات

● محمد الصدوقي

من بين المتغيرات الأساسية والجوهرية التي تظل مهمشة أو مغيبة في التدبير البيداغوجي لنظام التربية والتكوين: متغير الزمن؛ سواء من حيث علاقته بهندسة وتخطيط المنهاج التربوي(المناهج والبرامج والكتب المدرسية واستعمالات الزمن المدرسي والعمل الديداكتيكي والتربوي المباشر،زمن التعلم والتقييم...)أو بالتنظيم والتدبير الإداري لعمل أطر التربية والتكوين عامة. نقصد بالتحديد: ماهي الاختيارات والمبادئ المعتمدة في تحديد الزمن البيداغوجي للسنة الدراسية، وللمواد المدرسة والتعلمات والتقييمات، ولساعات عمل المدرسين على وجه الخصوص؟ هل تدبير وتحديد الزمن البيداغوجي في مدرستنا المغربية يخضع لظوابط ومعايير بيداغوجية علمية وموضوعية؟ أم لضوابط وغايات تنتمي لزمن غير الزمن البيداغوجي الموضوعي، قد يكون زمنا تقنيا أو اقتصاديا أو إيديو ـ سياسيا؟

الإجابات الدقيقة والأكثر موضوعية تحتاج إلى دراسات نظرية وميدانية عميقة وأكثر نفسا(ونتمنى ان تقوم بذلك الجهات الرسمية المختصة لامتلاكها الإمكانيات والوسائل)، لذا فإن مقاربتنا هذه لموضوعة الزمن البيداغوجي، لا تعدو أن تكون مجرد محاولة لبسط بعض الملاحظات، وإثارة بعض الأسئلة، لتسليط الضوء على متغير بيداغوجي يظل غير مفكرفيه ومهمشا في منظومة التربية والتكوين، وله تأثيراته السلبية الأكيدة على فعالية وجودة العملية التعليمية ـ التعلمية ونتائجها.

*مفهوم الزمن: بشكل مبسط وعام يمكن تعريف الزمن كمدة معينة يستغرقها فعل أو حدث ما،أو كبعد يمثل تعاقب الأفعال والأحداث. وعليه فإن الفعل / الحدث البيداغوجي قابل للقياس بوحدات زمنية، أو بتعبير آخر، يمكن ترجمة البيداغوجي إلى «كم زمني» معين، حيث إن كل متغير تربوي/ بيداغوجي/

ديداكتيكي(وقد يكون متوقعا أو غير متوقع) يستغرق زمنا معينا.فهل الزمن البيداغوجي الرسمي الحالي يعبر بدقة قياسية موضوعية عن الزمن البيداغوجي الموضوعي والعلمي؟

الزمن التقني والزمن البيداغوجي الموضوعي

في بحثنا عن مفهوم الزمن وكيفية تدبيره في أهم وثيقتين رسميتين (الميثاق الوطني للتربية والتكوين والكتاب الأبيض) عثرنا على المعطيات التالية: في الدعامة الثامنة من الميثاق،والتي تتطرق إلى استعمالات الزمن والإيقاعات المدرسية والبيداغوجية، يتم تحديد السنة الدراسية في 34 أسبوعا كاملا، أي مايعادل 1000 إلى1200ساعة، والتي يمكن تعديلها حسب وثيرة الحياة المميزة للمحيط الجهوي والمحلي للمدرسة، وذلك تبعا لمسطرة محددة، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار عدة شروط، منها: مراعاة الظروف الطبيعية والسوسيو ثقافية والاقتصادية للسكان، احترام المميزات الجسمية والنفسية للمتعلمين في كل سنة دراسية، التنسيق بين التكوين بالمؤسسة التربوية وعالم الشغـل، تنظيم الأنشطة الموازية والتربية البدنية، الاستعمال الأمثل والتعدد الوظائف للتجهيزات التربوية. كما يمكن لسلطات التربية والتكوين أن تبحث في مبدإ تخفيض عدد الساعات الدراسية الأسبوعية بالنسبة للتلاميذ، خصوصا في الابتدائي والإعدادي. (تهميش عدد ساعات عمل المدرسين؟!).إن هذه الدعامة من الميثاق تعبر عن الوعي بمفهوم الزمن وكيفية تدبيره بيداغوجيا في علاقته بالمتغيرات الفزيولوجية والنفسية للمتعلم، والمعطيات الطبيعية والسوسيو ـ ثقافية والاقتصادية لمحيط المدرسة. لكن الملاحظ، ونحن على مشارف نهاية عشرية الميثاق، لم يتم تفعيل معظم تلك الشروط السالفة الذكر التي يمكن لها أن تعطي للزمن البيداغوجي صبغته الموضوعية والواقعية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تبقى بعض الأسئلة معلقة، مثل: ماهي طبيعة العلاقة الديداكتيكية للمواد الدراسية بالغلاف الزمني السنوي؟ هل هي علاقة بيداغوجية موضوعية أم علاقة تقنية تدبيرية معطاة مسبقا، خصوصا إذا لاحظنا أن الغلاف الزمني للسنة الدراسية المعتمد في الإصلاح الحالي بقي تقريبا هو نفسه بالمقارنة مع النظام القديم؟ هل تعتمد السلطات التربوية سواء المركزية، أو الجهوية، أو الإقليمية، أو المحلية على البحوث والدراسات النظرية والميدانية العلمية في تحديد الزمن البيداغوجي؟ هل لدينا تراكم معرفي مغربي في هذا النوع من المقاربات؟ وعلى أية أسس علمية تم تحديد السنة الدراسية في 34أسبوعا؟...

الزمن البيداغوجي والديداكتيكي

*الغلاف الزمني السنوي للمواد الدراسية: من خلا ل معاينتنا للغلاف الزمني العام للمواد المدرسة في التعليم الابتدائي، والوارد في الكتاب الأبيض، خرجنا بخلا صات إحصائية(تقريبية) للنسبة المئوية لكل مادة، في علاقتها بالغلاف الزمني السنوي لكل المواد الدراسية، وهي كالتالي:

المادة	الغلاف الزمني السنوي للمواد	النسبة المئوية	الترتيب
تربية إسلامية	628	10.89%	4
لغة عربية	1615	28.02%	1
اجتماعيات	136	02.35%	8
رياضيات	1020	17.69	3
نشاط علمي	306	05.30%	7
تربية فنية	323	05.60%	6
أمازيغية	204	03.53%	9
لغة اجنبية أولى(فرتسية)	1123	19.48%	2
لغة اجنبية ثانية(انجليزية)	50	00.86%	10
تربية بدنية	358	06.21%	5
مجموع	5763		

*** إحصاءات مستخلصة من الكتاب الأبيض(تنظيم الدراسة في التعليم الابتدائي**

بعد معاينة هذه المعطيات الإحصائية، يمكن الخروج بالملاحظات/الأسئلة التالية:

ما هي المعايير المعتمدة في توزيع الغلاف الزمني السنوي للمواد الد راسية بهذه النسبة أو تلك في سلم الأولويات الزمني؟ هل هذه المعايير هي بيداغوجية وديداكتيكية محضة؟ أم هي مجرد إجراء تقني لتكييف الغلاف الزمني للمواد حسب غلاف زمني معطى مسبقا(الزمن السنوي)؟ أم أنها محكومة بعدد المواد المحدد في كل مستوى دراسي؟ أم أن الزمن البيداغوجي للمواد والسنة الدراسية يتحكم فيه بالأساس الزمن الاقتصاد التدبيري والزمن الإيديو-سياسي؟ لماذا ، مثلا تحتل اللغة الفرنسية المرتبة الأولى ابتداء من المستوى الثالث إلى السنة السادسة ؟(2815%من مجموع مواد السلك المتوسط) متقدمة على اللغة العربية(22.76%) والرياضيات والتربية الإسلامية والنشاط العلمي وباقي المواد الأخرى؟!مع العلم أن أغلب الشعب المغربي يتكلم اللغة العربية بالدرجة الأولى، وهي اللغة الرسمية للبلاد. كما نلاحظ احتلال اللغة السائدة عالميا وعلميا وتكنولوجيا(الانجليزية) آخر رتبة (00.86% من مجموع غلاف مواد الابتدائي) هل الفرنسية الآن أكثر وظيفية من الناحية التواصلية والمعرفية والتكنولوجية من الإنجليزية؟ ولماذا لا نعتمد الانجليزية كلغة أجنبية أولى كما هو الشأن في باقي جل الدول غير الناطقة بالانجليزية ؟ أم أن منطق التبعية التاريخية وعلاقات المصالح السياسية والاقتصادية لا زال يفعل فعله بعيدا عن منطق العصر والمصالح المعرفية والاقتصادية والتكنولوجية الحديثة التي تفرض التحكم في اللغة الانجليزية أولا !

إننا ندعو في الميثاق إلى بناء الكفايات التي ستساهم في النهضة العلمية والاقتصادية للبلاد!كيف ذلك ومادة النشاط العلمي تحتل المرتبة السابعة (05.30%من مجموع غلاف المواد)؟!مع تسجيل الأهمية المعطاة لمادة الرياضيات(المرتبة الثالثة). هل يمكننا أن نخرج باستنتاج أساسي كون الزمن التقني والإيديو-سياسي

سابق على الزمن البيداغوجي والعلمي ومتحكم فيه؟ ام ان الأمر لا يعدو ان يكون مجرد أخطاء تنظيمية وعدم تدقيق علمي وبيداغوجي في ترجمة الخطابات والأولويات على مستوى الهندسة البيداغوجية العامة؟! هناك عدة استنتاجات يمكن الخروج بها من الجدول الإحصائي السالف، ونكتفي بما سبق.

***استعمال الزمن الخاص بالحصص الزمنية للمواد الدراسية:**

هنا سنقدم فقط مثالين يخصان مادتي الرياضيات والفرنسية للمستوى السادس ابتدائي(حسب دليل الأستاذ)، والمهم هو إثارة بعض الأسئلة التي تخص الغلاف الزمني الأسبوعي للمواد الدراسية: تقدم مادة الرياضيات في 6 حصص في الأسبوع، 45 دقيقة لكل حصة، بالإضافة إلى حصة سابعة تخصص للدعم والتقويم.

أما المدة الزمنية لمواد الفرنسية، توزع كالتالي: تواصل وتعبير 35_30 دقيقة، الصرف Conj 40 د، معجم Lexique 30 د، تعبير كتابي 45_40 د، مشروع Projet 40 د.

هل تحديد زمن كل حصة دراسية تم اعتمادا على دراسات وتجارب بيداغوجية ميدانية؟ أم هي، كذلك مجرد تكييف تقني للغلاف الزمني السنوي المعطى مسبقا حسب عدد المواد المقررة، وحسب أيام الأسبوع الدراسي، وحسب عدد ساعات عمل المدرسين كذلك؟

على مستوى العمل البيداغوجي الميداني والصفي، يشتكي جل المدرسين من قلة وعدم كفاية وموضوعية الغلاف الزمني المخصص لبعض المواد، خصوصا المواد الأساسية والبنائية، ومن كثرة المواد المقررة التي تشتت مجهود المدرسين وتركيز المتعلمين، وتنهك القوى العقلية والجسدية للمتعلمين أمام الكم الكبير للمعلومات والقيم والعمليات السيكو_عقلية المتنوعة والمختلفة. هل تم التفكير في الإشكالية الحقيقية لتدبير الزمن في الأقسام المتعددة المستويات، التي بدأت تتضاعف مؤخرا، حيث تصبح الحصة الزمنية المقررة مجرد نصف حصة أو أقل لكل مستوى دراسي؟ ونفس الأمر بالنسبة للأقسام التي تعرف اكتظاظا متزايديا.

هل يتم بالفعل مراعاة زمن التعلم وزمن التعليم والمتغيرات الديداكتيكية الجديدة التي تتطلبها بيداغوجيا الكفايات، والبيداغوجيا الفارقية، والبيداغوجيا التفريدية، بيداغوجيا المشروع... وغيرها من المقاربات البيداغوجية المتمركزة حول المتعلم والكفايات، خصوصا ونحن نعلم بأن متعلمنا المغربي في التعليم العمومي يعاني في أغلبه من الفشل الدراسي، وتراجع المستوى الدراسي، بالإضافة إلى العوائق المرتبطة بالتجهيزات الديداكتيكية الحديثة للمدرسة، وبالمعوقات السوسيو_اقتصادية لمحيط المدرسة؛ هل يراعى هذا وغيره، عند هندسة وتخطيط الزمن البيداغوجي؟

كما يجدر التساؤل حول إشكالية مركزية تهم زمن التقييمات الإجمالية والإشهادية خاصة (الامتحانات النهائية)، هل تحديد زمن الامتحانات يتم وفق مقاييس ومعايير بيداغوجية تراعي مختلف المتغيرات والفروقات المختلفة الخاصة بالمتعلمين، وبطبيعة مواد وأسئلة الامتحانات من حيث تعقيداتها وصعوباتها؟ هل يتم قبل بناء الوضعيات التقييمية (الامتحانات) القيام بتجارب تطبيقية علمية على بعض الاختبارات المعتمدة في علاقاتها بطبيعة وخصوصيات وفروقات الفئات المستهدفة في علاقتها مع الزمن الموضوعي والمنصف؟ هناك دراسات حديثة تقول بانه يجب أن نترك للمتعلم كل الوقت للتعبير عن تحكمه في الكفايات موضوع التقييم أو التعلم.

*زمن التعليم وزمن الاقتصاد:

كثيرا ما طالبت بعض النقابات التعليمية بتخفيض ساعات عمل المدرسين، وخصوصا في الابتدائي، وفي الأغلب لاعتبارات بيداغوجية وسيكولوجية، على اعتبار أن التعليم هو عمل جسدي وعقلي ـ عصبي بالدرجة الأولى، وبعض الدراسات العلمية أثبتت بأن العمل العقلي ـ العصبي أكثر إرهاقا وإنهاكا من العمل الجسدي.

وهنا نطح سؤالا ظل مغيبا لعقود: لماذا هناك اختلاف وتفاوت في ساعات عمل مدرسي مختلف الأسلاك التعليمية؟ ما هي المعايير والأسس المعتمدة في ذلك؟ هل هي بيداغوجية؟ هل لها علاقة بعدد المتعلمين والحجرات الدراسية؟ هل لها علاقة بالشواهد التعليمية والمهنية...؟؟! أم لها علاقة فقط بالتدبير المالي للمناصب المالية والميزانية العامة المخصصة للتعليم؟ حيث هناك علاقة دالة بين عدد ساعات العمل وعدد المدرسين والغلاف المالي لتدبير التعليم والمناصب.

هل من الإنصاف البيداغوجي والاجتماعي أن يعمل مدرسو التعليم الابتدائي وحدهم، دون غيرهم من مدرسي باقي الأسلاك التعليمية، حوالي 30ساعة في الأسبوع؟ ومن المعروف أن التعليم الابتدائي أكثر إنهاكا وأكثر أهمية لما له من وظائف بنائية أساسية تؤثر على فعالية وجودة الأسلاك التعليمية اللاحقة. إنه يجب إعادة النظر في عدد ساعات عمل المدرسين وفق خصوصية مهنة التعليم، وضمانا للفعالية والإنصاف.

إن صناعة مستقبل ونهضة أمة لا يجب أن يكون انطلاقا من حسابات مالية وتقنية ضيقة لتحقيق التوازنات الماكرواقتصادية وذلك على حساب قطاع مجتمعي حيوي واستراتيجي كالتعليم. هناك مجالات أخرى يتم فيها هدر أو نهب الأموال العامة هباء ودون مراقبة أو محاسبة، او ترشيد عقلاني يركز المجهود اتا المالية على القطاعات الحيوية والمنتجة . هناك قطاعات يهدر فيها المال العام دون فائدة مجتمعية استراتيجية ، و إن رشدنا وقلصنا النفقات فيها قد تكون لوحدها كفيلة بتحقيق فائض ماكرواقتصادي وليس التوازن فقط. المجهود المالي للدولة يجب أن يكون وفق منطق الأولويات والمراقبة والتتبع ومحاربة أشكال الفساد والهدر المالي، وهي من أكبر معوقات أي إصلاح. كم من الملايير تهدر دون نتائج؟! يجب إعمال آليات التدبير بالنتائج وفق تعاقد حسب دفتر تحملات واضح الأهداف والنتائج والنفقات، عوض اللجوء إلى مختلف الحيل والتدابير التقنية لتقليص النفقات في قطاع هو الأولى بأي مجهود مالي للدولة (قطاع التربية والتعليم والتكوين)، لأنه قطاع استراتيجي يرهن تنمية وتقدم البلاد برمتها.

في الأخير نشير إلى أن الزمن البيداغوجي لنظام التربية والتكوين، لا زال زمنا ماقبل ـ علميا، يهيمن عليه الزمن التدبيري التقني ذو الأهداف الاقتصادية التقشفية أو التجارية (عدد الكتب المدرسية والمواد ربما...)، والزمن الإيديولوجي السلبي. إننا في حاجة إلى إعمال العلم والمصلحة العليا للوطن، لتحديد زمن بيداغوجي حقيقي وموضوعي يراعي الخصوصيات البيداغوجية، والسيكواجتماعية، للمنهاج التعليمي وللمتعلمين، ولمحيط المدرسة، والخصوصيات المهنية للمدرسين، ولمتطلبات التنمية البشرية الحقيقية، من اجل نهضة وتقدم البلاد عامة./.